نشأة علم نقد المتن وتاريخه، وعوامل ظهوره

نقد متن الحديث في عصر النبوة

اعداد: د.نضال علي حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداف من دراسة نقد المتون :

لما كان متن الحديث هو الغاية من مباحث علومه، كان نقد المتون من أهم علومه مما جعل اهتمام العلماء به مبكرا، إذ يمثل الركن الثاني الذي يحكم من خلاله بقبول الحديث أو رده، ما كان اهتمامهم بالسند إلاّ لأنه الطريق الموصلة للمتن، ومما يزيد من اهمية دراسة هذا العلم ما فيه من اهداف علمية نلخصها بالتالي:

١- التعريف بجهود علماء الجرح والتعديل في نقد الحديث بشقيه، المتن والإسناد، وأنه كان عندهم أهم ركيزة من ركائزئهم في نقد الرواة والحكم عليهم، والرد على من يقول بإغفال علماء الحديث لنقد المتن.

٢- الكشف عن التنوع الاجتهادي في التعامل مع نقد المتن عند علماء الجرح والتعديل، ومعرفة المعايير التي حاكموا بها المتون، والأسباب الموجبة لنقده عندهم، وتسليط الضوء على جملة من نصوصهم المبثوثة في كتب الرجال، وكتب العلل والتي تمثل الجانب العملي والتطبيقي لنقد مرويات الرواة .

٣- بيان سمات ائمة الجرح والتعديل في نقد الروايات سندا ومتنا والتي كانت تتجسد في الدقة والأمانة العلمية والالتزام بأصول النقد، ليزول شكّ المرتاب في دقة عمل المحدثين فيزدادوا وثوقا بالسنة ، وتعلقا بها، وصمودا أمام الطاعنين.

٤- الدفاع عن سنة النبي(صلى الله عليه وسلم) بإثبات حجية ما ثبت صحتها وفق أصول وقواعد الحديث المقررة عند علماء السنة، وتبرئتها من أقوال المغرضين الذين يسعون إلى طعن الحديث بدعوى، النقد على منهاج عصري.

٥- رد مزاعم آراء المستشرقين والمتأثرين بهم أن نقد الحديث والحكم عليه كانت تعتمد فقط على نقد السند، فإذا صح السند صح الحديث ولا عبرة بالمتن، وإن جرى نقد للمتن فهو قليل إذا ما قيس بنقد السند، فكان نقد سطحيا ينقصه المنهج العلمي .

أهم المراجع الحديثة في مناهج النقد عند المحدثين :

١- منهج النقد عند المحدثين نشأته وتاريخه لمحمد الأعظمي .

٢- مقاييس نقد متون السنة، لمسفر الدميني.

٣- اهتمام المحدثين بنقد الحديث لمحمد السلفي.

٤- أسباب اختلاف المحدَّثين لخلدون الأحدب.

٥- دراسات في مناهج المحدَّثين، لمحمد محمود أحمد هاشم.

٦- نقد متن الحديث: تأريخه ومقاييسه ومناهج العلماء فيه، لشفيق وينعزا.

٧- دراسات في منهج النقد عند المحدَّثين، لمحمد العمري.

٨- نقد الحديث في علم الرواية والدِرايَة، لحسين الحاج حسن.

٩- جهود المُحدِّثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، لمحمد طاهر الجوابي.

١٠- أصول منهج النقد عند اهل الحديث، لعصام احمد البشير .

التعريف بعلم نقد المتن

(النقد) لغة: هو تمييز الدارهم، وإخراج الزيف منها، أو ليميّز جيده من رديئه.

(النقد) اصطلاحاً: تمييز الصحيح من السقيم مع بيان علة ذلك.

(المتن) اصطلاحاً: فهو ما ينتهي إليه سند الحديث من الكلام والألفاظ.

(نقد الحديث) اصطلاحاً: تمييز الاحاديث الصحيحة من السقيمة والحكم على رواتها تعديلا وتجريحاً"

(علم نقد المتن): هو العلم الذي يعتني بدراسة مضمون متن الحديث من حيث خلوه من العلل القادحة، ومدى موافقته للأصول الشرعية الصحيحة، والقواعد العقلية الصريحة، والحقائق العلمية، والتاريخية الثابتة".

(نقد المتن في عصر النبوة)

تعود الجذور التأريخية لنشأة نقد الحديث إلى عصر النبي(صلى الله عليه وسلم)، إلاّ انه بقي على نطاق ضيق، فلم تكن الحاجة إليه ماسة، لوجود المشرع بين الصحابة، وللمكانة العليا التي تحلتها السنة النبوية عند الصحابة، لعلمهم بانها أصل ثاني بعد القران الكريم لشريعة الاسلام، فيها الحلال والحرام ، شارحة لكلام الله مبينة

لأحكامه، وانها وحي غير متلو، قال تعالى:{وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى}(النجم:٤)، وقال تعالى: { وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(النحل:٤٤).

قول النبي(صلى الله عليه وسلم): " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء، المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة".

فتعلم الصحابة منهج التحري والتثبت من قبول الاخبار ونقلها امتثالا لأمر الله تعالى، وأمر رسوله(صلى الله عليه وسلم) بالتثبت في قبول ونقل الاخبار،

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}(الحجرات:٦).

وقال تعالى:{وَما آتَاكُم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}(الحشر:٧).

فكانت الحيطة والتثبت منهجاً سلكه الصحابة في قبول الاخبار ونقلها استجابة لأمره تعالى ورسوله الكريم(صلى الله عليه وسلم).

ومع حرص الصحابة الشديد لتبليغ الدعوة الى الناس ونشر الشرع واحكامه، اتباعا لقوله(صلى الله عليه وسلم):" بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" . الاّ انهم كانوا اكثر حيطة وتثبتا في نقل السنة خشية الوقوع في الكذب الذي حذرهم منه وبين لهم عواقبه، بقوله(صلى الله عليه وسلم): "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين".

وقوله(صلى الله عليه وسلم): "من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار".

فلما وقع عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم(رضي الله عنهما)، عندما رآه يقرأ سورة الفرقان بقراءة غير التي أقرأها له رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، انطلق به مسرعا إلى النبي(صلى الله عليه وسلم) ليتحقق ويتاكد منه فاخبره(صلى الله عليه وسلم) :"إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا منه ما تيسر".

ولم يكن ذلك تكذيبا وظنا منه بل لمزيد الحرص وتوقي الخطا والوهم في شرع الله.

وهكذا كان الصحابه يفعلون إذا استشكل عليهم أمراً، يلجأون الى النبي(صلى الله

عليه وسلم) ليستوثقوا منه ، ليس من باب الشك والتكذب لبعضهم انما من باب التوكيد والاستيثاق للطمأنينة القلبية.

من امثلة ذلك: ان **ضمام بن ثعلبة** رجل من أهل البادية جاء الى الرسول(صلى الله عليه وسلم)، فقال:" يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: "صدق"، قال: فمن خلق السماء؟ قال: "الله"، قال: فمن خلق الأرض؟ قال:"الله"،قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال:"الله"، قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟ قال:"نعم"، قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا، وليلتنا، قال:"صدق"، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال:"نعم"، قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا، قال:"صدق"، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال:"نعم"، قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، قال:"صدق"، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال:"نعم"، قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا، قال:"صدق"، قال: ثم ولى، قال: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليهن، ولا أنقص منهن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لئن صدق ليدخلن الجنة".

فضمام بن ثعلبة اراد ان يستوثق من النبي ويسمع منه بنفسه ما بلغه عنه.

وشدد النبي(صلى الله عليه وسلم)على الصحابة بضرورة اتقان حفظ الحديث بألفاظه كما سمعوها منه من غير تغيير او زيادة او نقصان، قال (صلى الله عليه وسلم): "نضر الله عبدا سمع مقالتي فبلغها كما سمعها".

وامثلة ذلك : قصة البراء بن عازب (رضي الله عنها) خير دليل عندما علمه النبي(صلى الله عليه وسلم) دعاءاً، ثم طلب منه، ان يردده عليه، قال:" فرددته عليه، فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت: ورسولك، فقال(صلى الله عليه وسلم): لا، ونبيك الذي أرسلت".

وقد اجاز الرسول(رضي الله عنها) التكلم في الرجل على وجه الذم، ان كان فيه مصلحة شرعية، لتحذير السامع وتنبيه الناس من سوء خلقه، فليس ذلك من باب الغيبة المذمومة، ومن امثلة ذلك: ما اخبرته عائشة(رضي الله عنها) حينما استأذن

رجل على النبي(صلى الله عليه وسلم) فقال:" ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة – أو بئس أخو العشيرة –"، وقد كان خلقه سيء .

طبيعة النقد في عصر النبي(صلى الله عليه وسلم):

تمثل النقد في هذا العصر بتحري الصحابة والتثبت في قبول الاخبار ونقلها، الرجوع الى الرسول(صلى الله عليه وسلم) اذا اشكل عليهم فهم مراده والأجابة على سؤالاتهم، للاستيثاق والتاكد للطمأنية، توخي الدقة والصدق في النقل عنه(صلى الله عليه وسلم)، لخطورة الامر لتعلقه بالدين واحكامه الشرعية، والتشديد على ضبط إلفاظ الاحاديث واداءها كما سمعوها، من غير تغيير او زيادة او نقصان .

للاستزادة يراجع:

– دراسات في منهج النقد عند المحدَّثين، لمحمد العمري.

– منهج النقد عند المحدَّثين، للأعظمي .

– جهود المُحدِّثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف للجوابي.

–منهج المحدثين في نقد متون الاحاديث النبوية، للدكتورة موزة محمد الكور.

الكلمات المفتاحية: التثبت، نقد المتن، الحيطة.